مقامات العباس العالية في نصوص الزيارة الشريفة

إن من أبرز وجوه الاحتفاء والاهتمام بأعاظم شخصيات مذهب أهل البيت عليهم السلام -من قبل المؤمنين- هو ذكر فضائلهم، وتعداد مناقبهم؛ من أجل الاقتداء بهم، والسير على ما ساروا عليه من طاعة أئمتهم، وتضحيتهم في سبيل الدين.

ومن أبرز أولئك الاعاظم في تاريخ شيعة أهل البيت عليهم السلام: هو سيدنا أبو الفضل العباس بن علي عليهما السلام ذلك العبد الصالح المطيع لله ولرسوله، ولأمير المؤمنين، كما ورد في زيارته الشريفة التي سنقف على بعض فقراتها.

وفي الحقيقة أن الحديث عن مثل أبي الفضل العباس حديث طويل، ومن عدة مستويات، ولكن لمقتضى الحال، وقصر المقال، سوف أحاول التعرض لبعض مقامات أبي الفضل العباس عليه السلام التي وردت في نص زيارته الشريفة التي رواها الشيخ الجليل جعفر بن قولويه في كامل الزيارات (الباب٨٥ في وداع قبر العباس ص٤٤٠) بسند معتبر عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام.

حيث اشتملت هذه الزيارة الشريفة على مضامين عالية، ومناقب سامية لمولانا أبي الفضل، فمما ورد في نص هذه الزيارة الشريفة من مناقب:

أولا: طريقة السلام على أبي الفضل العباس من قبل الإمام الصادق عليه السلام وهو إمام معصوم، فقد ابتدأ السلام بـ«سلام الله، وسلام ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين...» والتعبير بـ(سلام الله) لم يرد إلا في زيارة أمير المؤمنين، والإمام الحسين، ومسلم بن عقيل عليهم السلام، ثم امتاز بهذه الميزة أبو الفضل عليه السلام.

وسلام الله يعني الاصطفاء، والتقديس، والتعظيم، وعلو المرتبة، فإن الوارد في القرآن الكريم: أن الله تعالى سلّم على أنبيائه كما في سورة الصافات ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾، و﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾، وهكذا بقية الأنبياء[1].

فقد خص الامام المعصوم أبا الفضل بهذا التسليم الذي لا يكون إلا لأولياء الله تعالى، ومن اصطفاهم من خلقه.

ثانيا: شهادة المعصوم -الذي يعرف مقاصد كلامه، ويعطي كل ذي حق حقه- لأبي الفضل العباس عليه السلام بخمس شهادات من أعظم ما يكون، ويكفي المرء منها واحدة فما بالك بخمسة ومن الإمام المعصوم عليه السلام؟! وهي:

١- «أشهد لك بالتسليم، والتصديق، والوفاء، والنصيحة لخلف النبي المرسل صلى الله عليه وآله وسلم»، ويقصد بذلك

(١) يلاحظ سورة الصافات أية (٧٩، ١٠٩، ١٢٠، ١٣٠، ٢٨١).

أن أبا الفضل وصل إلى مرحلة الانقياد وتمام الطاعة لإمامه وخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الإمام الحسين عليه السلام، فقد مدح القرآن الكريم المسلّم لأمر الله تعالى وأوليائه كما في قوله تعالى: ﴿أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2].

٢- «أشهد أنك قتلت مظلوماً وأن الله منجز لكم ما وعدكم»، فإن أبا الفضل نال مرتبة الشهادة في سبيل الله ودفاعا عن الحق، والله تعالى وعد الشهداء بعظيم الأجر، ورفيع المنزلة، فقد ورد في سورة آل عمران ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[3].

٣- «أشهدُ وأشهدُ الله أنك مضيت على ما مضى به البدريون، والمجاهدون في سبيل الله المناصحون له في جهاد أعدائه المبالغون في نصرة أوليائه»، ومعلوم ماهي منزلة أهل بدر عند الله تعالى وعند رسوله، حتى عد لقب البدري من الألقاب التي تميز بها بعض الصحابة بأن يقال: فلان شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدرا.

٤- «أشهد أنك قد بالغت في النصيحة، وأعطيت غاية المجهود، فبعثك الله في الشهداء»، وهنا وصف

(٢) سورة النور: ٥١.
(٣) سورة آل عمران: ١٦٩-١٧٠.

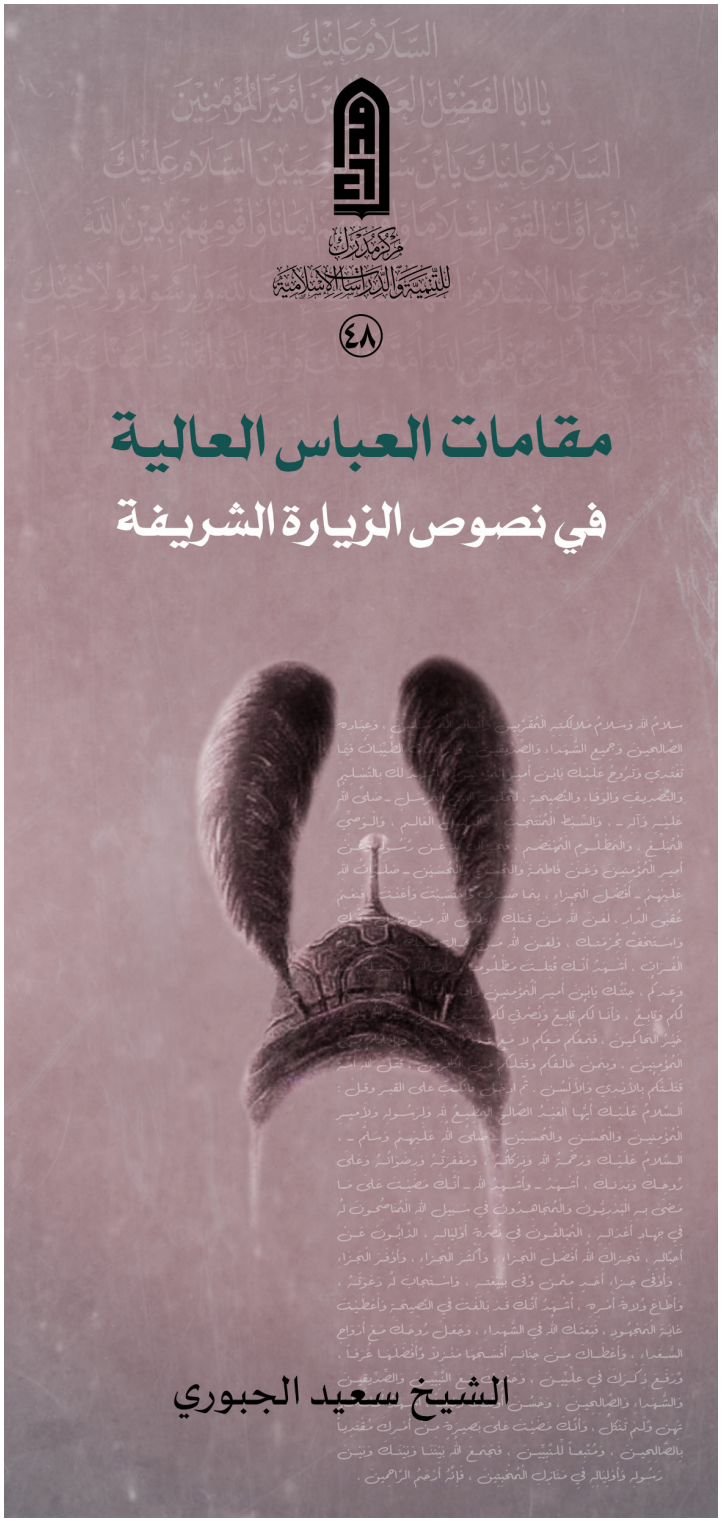

الامام الصادق عليه السلام أبا الفضل بأن كان مبالغا في نصيحة القوم، ومحاولة ردهم عما يريدون الإقدام عليه، وصفة الناصح هي صفة الانبياء والرسل والأولياء الذين هم على بينة من أمرهم، ويريدون هداية العباد إلى الصواب.

٥- «أشهد أنك لم تهن ولم تنكل، وأنك مضيت على بصيرة من أمرك»، حيث برأه الإمام عن التهاون في الدفاع عن الحق، وعدم النكول عن نصرة سيد الشهداء عليه السلام وأنه ذو بصيرة نافذة، وهذا المعنى يجسده حديث آخر للإمام الصادق عليه السلام حيث قال فيه: «كان عمنا العباس نافذ البصيرة صلب الإيمان...».

ثالثا: تكرار السلام عليه مع إضافة صفات ومناقب أخرى مثل «السلام عليك أيها العبد الصالح المطيع لله ولرسوله ولأمير المؤمنين...»، و«السلام عليك ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه وعلى روحك وبدنك...».

رابعا: الدعاء من الإمام المعصوم في ختام الزيارة بقوله عليه السلام: «فجزاك الله عن رسوله وعن أمير المؤمنين وعن الحسن والحسين أفضل الجزاء...»، وفي موضع آخر «فجزاك الله أفضل الجزاء وأكثر الجزاء وأوفى جزاء أحد ممن وفى ببيعته...»، وكذلك قوله: «فبعثك الله في الشهداء وجعل روحك مع

أرواح السعداء...»، وبهذا المضمون فقد ورد عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «رحم الله عمي العباس بن علي فلقد آثر، وأبلى، وفدى أخاه بنفسه، حتى قطعت يداه، فأبدله الله بجناحين ليطير بهما مع الملائكة في الجنة ...»[٤].

ففي الحقيقة أن ما ورد في هذه الزيارة الشريفة لمولانا أبي الفضل العباس على لسان الإمام الصادق عليه السلام من مناقب عالية، وصفات سامية تكشف بوضوح منزلة أبي الفضل (صلوات الله عليه)، وأنها منزلة عظيمة لا تدانيها ولا تفوقها إلا منزلة المعصومين عليهم السلام، وما نال هذه المنزلة وهذا المقام السامي إلا بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله وأوليائه عليهم السلام، فهنيئا له ما أعطاه الله من الثواب الجزيل والثناء الجميل، ورزقنا الله تعالى في الدنيا شفاعته وشفاعة أوليائه، والسير على هداه، والاقتداء به، وسلام الله وسلام ملائكته وأنبيائه ورسله وعباد الله الصالحين عليه يوم ولد ويوم أستشهد ويوم يبعث حيا.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

(٤) الأمالي الصدوق: ٤٤٨.